( ٢٤ )

# المُصَوِّرُ ﷻ

قال ابن القيم رحمه الله: "وإذا تأملت ما دعى الله ﷻ في كتابه عباده إلى الفكر فيه؛ أوقعك على العلم به ﷻ وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله".

كَمْ فِي كِتَابِ الكَوْنِ مِنْ عِبَرٍ ... لأُوْلِي النُّهَى وَالبَحْثِ وَالنَّظَرِ
فِي الأَرْضِ فِي الآفَاقِ قَاطِبَةً ... فِي النَّفْسِ فِي الأَصْوَاتِ فِي الصُّوَرِ

نقف مع اسم الله (المصور ﷻ):

قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحشر:٢٤].

فربُّنا ﷻ الذي صوَّر خلقه كيف شاء، وصور جميع الموجودات؛ ورتبها فأعطى كل شيء منها صورةً خاصةً، وهيئةً مفردةً يتميز بها على اختلافها وكثرتها، وقد صور ﷻ كل صورة على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار، وهو ينفذ ما يريد على الصفة التي يريدها: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار:٨].

فربُّنا ﷻ هو الذي هيأ خلقه وعدلهم إلى الأشكال والهيئات التي توافق تقديره وعلمه ورحمته، والتي تتناسب مع مصالح الخلق ومنافعهم؛ فأتت على صور مختلفة، وهيئات متباينة؛ من الطول والقصر، والحسن والقبح، والذكورة والأنوثة، كل واحد بصورته الخاصة.

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾[الأعراف:١١]، وقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾[التغابن:٣].

يَا عَالِمَ الغَيْبِ مِنَّا وَالشَّهَادَةِ يَا
رَبَّ البَرِيَّةِ تَرْكِيبًا وتَصْوِيرًا
شَهِدتُّ أَنَّكَ فَرْدٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ
شَهَادَةً لَمْ تَكُنْ مَيْنًا وَلاَ زُوْرًا
وَجَّهْتُ وَجْهِيَ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي
إِلَيْكَ حَمْدًا وَتَهْلِيلاً وَتَكْبِيرًا

وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحشر:٢٤]، فالأسماء الثلاثة: (الخالق، والبارئ، والمصور) إذا اجتمعت دل كل واحد منها على معنًى؛ فالخلق هنا: التقدير، والبرء هنا: الاختراع، والتصوير هنا: إعطاء كل شيء صورته، وعند افتراقها فالمعنى واحد.

فربُّنا ﷻ أراد وقدَّر ثم برأ، أي: خلق وأوجد، ثم خص كل مخلوق

بالصورة والهيئة المناسبة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[المؤمنون: ٩١].

كان النبي ﷺ يقول في سجوده: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ»[أخرجه مسلم].

## ❐ أكمل الدلالات:

خلقُ الإنسان: آية للمتوسمين، وعبرة للمعتبرين، وعظة للمتعظين؛ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الذاريات:٢١].

وفي نفس الإنسان وخلقه: أعظم الدلائل على خالقه وفاطره.

وأقرب شيء إلى الإنسان: نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ﷻ ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، ولكن الإنسان معرض عن ذلك، ولو تأمل قليلاً لانزجر عن كفره وجحوده، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[عبس:١٧-٢٢].

يعيش فوق الأرض ما يزيد على سبعة مليارات نسمة، كل واحد منهم تغاير صورته صورة غيره في الملامح والسمات والألوان والهيئات.. والأب واحد والأم واحدة: آدم وحواء، ولكنه صنع الله ﷻ؛ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾[النمل: ٨٨]، ألا يستوجب ذلك: الشكر؟! والعبد يرى

نعم الله ﷻ عليه منذ كان نطفةً في بطن أمه، ثم صور سمعه وبصره ونفخ فيه من الروح، ثم غذاه وسقاه وكساه وآواه وكفاه، ومن كل ما سأل أعطاه؛ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد:٨-١٠].

ومن أعظم الشكر: استخدام نعم الله ﷻ في طاعته، وإبعادها عن معصيته وما يغضبه.

وأخيرًا..

العاقل لا يسخر من صور الناس ولا من أشكالهم؛ لأنه يعلم بأن الله هو الذي خلقهم، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران:٦].

فالله هو: الخالق البارئ المصور؛ فليس لصاحب الشكل الذميم ذنبٌ فيُعَيَر ويُلام، وليس لصاحب الشكل الجميل فضلٌ أو يدٌ فيُشكَر ويُزَان.

قال رجل لحكيم: "يا قبيحَ الوجه! فقال: ما كان خَلْقُ وجهي إليَّ فأحسنه، فمن ذمَّ صنعةً، فقد ذم صانعها"، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ خَلْقِ اللهِ ﷻ حَسَنٌ»[«السلسلة الصحيحة» للألباني].

فإذا رأيت مبتلىً؛ فاحمدِ الله أن يعافيه، وكما قيل: "لا تسخر من أخيك، فيعافيه الله ويبتليك".

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ فيقول: "البلاء موكَّل بالقول، لو

سخرتُ من كلبٍ لخشيت أن أكون كلبًا".

وعن إبراهيم النخعي ﷺ أنه قال: "إني لأرى الشيءَ مما يُعاب، ما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أُبتلى بمثله".

اللهم يا خالق يا بارئ يا مصور! نسألك: أن تجعلنا من خيرة خلقك، وترحمنا يوم العرض عليك.